مجيد غزال مقفرة وماحت بعود أراكة بَرَداً عذابا
كأن سلافة خلطت بمسك ليغلبها وكان لها قطابا
بذاقنها اذا ما بينتها سواد الزوج والثم الرضابا
ليغتبق العلالة من نداها كفى فوها لمغتبق وطابا
أسيلة معقد السمطين منها وريّا حين تعتقد الحقابا
اذا مالت روادفها بمتن كغصن البان فاضطرب اضطرابا
تهادى فى الثياب كما تهادى حباب الماء يتبع الحبابا
ترى الخلخال والدملاج منها اذا ما أكرها نشبا فهابا
اذا ما الشئ لم تقدر عليه فلا ذكراً لذاك ولا طلابا

الطبقة الخامسة

أبو زُبَيْد الطائى واسمه حرملة بن المنذر، والعُجَيْر بن عبد الله السلولى، وعبد الله بن همّام السلولى، ونُفَيْع بن لقيط الأسدى

أخبرنا أبو خليفة أخبرنا محمد بن سلام أخبرنا أبو الغراف قال كان أبو زبيد الطائى من زوّار الملوك وللملوك العجم خاصة وكان عالماً بسيرها وكان عثمان بن عفان يقربه على ذلك ويدنيه ويدنى مجلسه وكان نصرانيا فحضرذات يوم عثمان وعنده المهاجرون

والأنصار فتذاكروا مآثر العرب وأشعارها فالتفت عثمان الى أبي زبيد فقال : يا أخا تُبَّع المسيح أسمعنا بعض قولك فقد أنبئت أنك تجيد . فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

من مبلغ قومنا النائين إذ شحطوا ان الفؤاد اليهم شيق ولع

ووصف فيها الأسد . فقال عثمان : تالله تفتؤ تذكر الأسد ما حييت والله انى لأحسبك جبانا هِدانا . فقال كلا يا أمير المؤمنين ولكنى رأيت منه منظراً وشهدت منه مشهداً لا يبرح ذكره يتجدد فى قلبي. ومعذور أنا يا أمير المؤمنين غير ملوم . فقال عثمان وأنى كان ذلك .قال خرجت فى صيابة أشراف من أفناء قبائل العرب ذوى هيئة، وشارة حسنة، ترتمي بنا المهارى بانسائها . ونحن نريد الحارث بن أبي شمر الغسانى ملك الشام. فاخروّط بنا المسير فى حَمّارة القيظ حتى اذا عصبت الأفواه ، وذبلت الشفاه ، وشالت المياه، وأذكت الجوزاء المعزاء ،وداب الصيهد ، وصر الجندب ،وضاف العصفور الضب فى وجاره،أو قال فى جواره ـ قال قائلنا : يا أيها الركب غوروا بنا فى ضوج هذا الوادى.واذا واد قد بدا يمينا كثير الدغل، دائم الظل، شجراؤه مغنه، وأطياره مرنه ، فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهبلات. وأصبنا من فضالات الزاد واتبعناها الماء البارد

وإنا لنصف حر يومنا ومما طلته اذ صر أقصى الخيل أذنيه وفحص الأرض بيديه. فوالله ما لبث أن جال، ثم حمحم فبال، ثم فعل فعله الذي يليه واحدا فواحدا. فتضعضعت الخيل وتكعكعت الابل وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله، وناهض بعقاله، فعلمنا ان قد أتينا وأنه السبع ففزع كل امرئ منا الى سيفه فاستله من جربانه ثم وقفنا رزدقاً فأقبل يتطالع من بعيد كأنه مجنوب أوفى هجار. لصدره نحيط، ولبلاعيمه غطيط، ولطرفه وميض، ولارساغه نفيض، كأنه يخبط هشيما، أو يطأ صريماً، واذا هامة كالجن، وخد كالمسن، وعينان سجراوان، كأنهما سراجان تقدان، وقصرة ربلة، ولهزمة رهلة، وكتد مغبط، وزور مفرط، وساعد مجدول، وعضد مفتول، وكف شثنة البراثن، الى مخالب كالمحاجن، فضرب بيديه فأرهج، وكشر فأفرج، عن أنياب كالمعاول مصقولة. غير مفلولة، وفم أشدق كالغار الأخرق، ثم تمطى فأشرع بيديه، وحفز وركيه برجليه، حتى صار ظله مثليه. ثم أقعى وأقشعر ثم تمثل فاكفهر ثم تجهم فازبأر فلا والذي بيته في السماء ما اتقيناه الا بأخ لنا من بني فزارة كأن ضخم الجزارة فوقصه ثم نفضه نفضة فقضقض مثنيه وجعل يلغ في دمه فذمرت أصحابي فهجمنا به فكر فبعد لأي ما استقدموا فكر

مقشعراً بزبرة كان به شيهماً حوليا فاختلج رجلا أعجر ذا حوايا فنفضه نفضة تزايلت مفاصله ثم نهم فقرقر ثم زفر فبربر ثم زأر فجرجر ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه من عن شماله ويمينه فأرعشت الأيدي وأطت الأضلاع وارتجت الأسماع وحُمجت العيون ولحقت البطون وانخزلت المتون وساءت الظنون

فقال عثمان رضى الله عنه :اسكت،قطع الله لسانك فقد رعبت قلوب المسلمين .

وقال العجير السلولى :

خلفت جواداً والجواد مثابر
على جريه ذو علة ويسير
ولا يسبق الغايات مستسلم الصلا
مقل لأطراف الرماح عثور
ولكن مشيح الركض مستبعد المدى
اذا ابتل من سجم الحميم طحور
فلا توزعيني انما يوزع الذى
به ضَعَفٌ أو فى القيام فتور

ولا تزدرينى وانظرى ما خليقتى
اذا ضاف أمر أو أناخ أمير
فان بنى كعب رجال كأنهم
نجوم السرى سدت بهن ثغور
تحلّب أيديهم نجيعاً ونائلا
اذا البزل لم يصبح بهن درور
مرَوْها بأطراف العوالى فأسبلت
نجيعاً له تحت اللبان خرير
مقيمين لا تعتاد الا وجدتهم
كما بالرحا من صاحتين صخور
اذا ناء منهم كوكب غار كوكب
لأن الندي جم القراع مطير
وان هبطوا بيتاً أذلوا ثراءه
فأضحى .... مورد وصدور

وقال يذم ابن عم له ويرثى سليم بن زيد السلولى :

نهارك ما فيه ليان ولا كرى لعين وأيام ابن زيد صوالح
وذاك ابن عم الصدق أماعطاؤه فجزل وأما جيبه فهو ناصح

وكان شفاء غير داء دنوّه اذا احولّ أبصار العيون اللوامح
اذا قال لى قم قلت بل أنت فاكفني فقام فجلى أبيض الوجه واضح

أخبرنا أبو خليفة أخبرنا محمد بن سلام قال: وأما عبد الله بن همام السلولى فحدثنى يونس وأبو الغراف قالا كان عبد الله رجلا له جاه عند السلطان ووصلة بهم، وكان سريا فى نفسه، وله همة تسمو به، وكان عند آل حرب مكينا حظيا فيهم. وهو الذى حدا يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية وأنشده شعراً رثى فيه معاوية بن أبى سفيان وحضه على البيعة لابنه معاوية فقال:

تعزّوا يا بني حرب بصبر فمن هذا الذى يرجو الخلودا
لعمر مناحهن ببطن جمع لقد جهزتم ميتا فقيدا
لقد وارى قليبكم بيانا وحلما لا كفاء له وجودا
وجدناه بغيضاً فى الأعادى حبيباً فى رعيته حميدا
أميناً مؤمناً لم يقض أمراً فيوجد غبه إلا رشيدا
فقد أضحى العدو رخى بال وقد أمسى التقى به عميدا
فعاض الله أهل الدين منكم وردّ لنا خلافهم جديدا
مجانبة المحاق وكل نحس مقاربة الأيامن والسعودا
خلافة ربكم حاموا عليها ولا ترموا بها الغرض البعيدا

تلقفها يزيد عن أبيه وخذها يا معاوىَ عن يزيدا
فانْ دنياكم بكم اطمأنت فأولوا أهلها خلقا سديدا
وان ضجرت عليكم فاعصبوها عصاباً تستدر به شديدا

أخبرنا ابن سلام قال: وأنشدنى أبو الغراف عن سليمان الجذامى لنويفع بن لقيط ويقال نافع بن لقيط:

أدّوا إلى ميدان عنكم عرسه ودعوا سبابى يا بنى عرقوب
ان المخازى قد رتمن أنوفكم رتم الحجارة إصبع المنكوب
لن تهدموا شرَفى بلؤم أبيكم ونهاق عير فيكم مكذوب

وحدثنى أبو الغراف قال كان لنافع بن لقيط امرأة من بني منقذ بن طريف فى خُلقها زعارة فادعوا عليه طلاقها فقاتلهم حتى كانت بينهم جراح فاستخفى من الحجاج حتى لحق بقومه بالقنان وتزوج ابنة عمه ابنة شيبان بن مزيد فتغني يوماً وقال:

وردتُ بئاراً ملحة فكرهتها بأهلى وأهلى الأولون ومالیا

ولنافع:

وإياك والظلم المبين إنني أرى الظلم يغشى بالرجال المغاشيا
أتجمع ان كنت أبن تقن فطانة وتغبن أحيانا وتأتى الدواهيا
اذا أنت أكثرت المجاهل كدرت عليك من الأخلاق ما كان صافيا

فلا تك حفّارا بظلفك انما تصيب سهام الغي من كان غاويا

الطبقة السادسة حجازية أربعة رهط

وهم عبيد الله بن قيس من بني عامر بن لؤي وانما نسب الى الرُّقيات لأن جدات له توالين يسمين رُقية، والأحوص بن عبدالله ابن محمد بن عاصم وهو أبو الأفلح وهو من بني الخزرج، وجميل ابن معمر بن حبتر العذري، ونصيب مولى عبد العزيز بن مروان.

أخبرنا أبو خليفة أخبرنا محمد بن سلام قال فحدثني يونس قال كان عبدالله أشد قريش أسْرَ شعر في الاسلام بعد ابن الزِّبَعْرى، وكان غزِلا وأغزل من شعره شعر عمر بن أبي ربيعة وكان عمر يصرح بالغزل ولا يهجو ولا يمدح، وكان عبد الله يشبب ولا يصرح ولم يكن له معقود شعر وغزل كغزل عمر وكان انقطاعه الى آل الزبير فمدح مصعبا وهجا عبد الملك بكلمته:

* انما مصعب شهاب من الله *

وقال فيها لعبد الملك:

قد عمرنا فمتْ بدائك غيظاً لا تميتن غيرك الأدواء

ان منا النبي الأُمي والصديق منا الوصي والشهداء